الخاتمة

منـذ وطئت أقدام آدم وحـواء الأرض واستقـرا وذريتهما عليهـا، أخـذت الاحتـكاكات الناعمـة والخشنـة، والصراعات المفيـدة والضارة، والحـروب الضيقة والواسعـة تضرب البشر، حتى يقتل ابن آدم أخاه، ربما دون حاجة كبيرة.

ومـع تزايد عـدد البشر، وتمكـن العنصريـة في النفوس، وحـب التملـك، وعشق السلطـة، والتباهي والتفاخـر، والإنسان تطحنـه الحروب، وتفتـك به الكـوارث، يتدافـع ويتصارع حول المفيـد والضـار، أحلامـه وآماله أكبر مـن قدراتـه؛ لذا كثرت وتعاظمـت أحلامـه وتطلعاته، أحزانـه ومسراتـه، كان بدائيًا، فكانـت أدواته كذلك، فلما تعلم وتقدم وتحضـر، صارت أدواته تصنع من الأسلحة والفتن، ما جعله يشن حربين كونيتين في قرن واحد، وإن صدق المستشار بريجنسكي فيما ذكر، فإن من قتل في القرن العشرين ناف وزاد على (١٧٦) مليونًا من البشر، ورميت قنبلتـان ذريتـان على اليابـان - خلال الحرب العالميـة الثانية، فقتل مئات الألوف ومازال الأذى مستمرًا.

في مدينـة الفلوجـة الصغيرة قتل الألـوف، واليوم تضرب (السرطانات) المواليد فتصيب ٨٠٪ بعاهات دائمة.

يصنع الإنسان مفاعلات نووية لتوليد الطاقة، وفي شارنوبل يجري تسرب لغازات في مفاعل واحد، من أصل أربعة، فيضع العالم كله أيديهم على قلوبهم، إذ ترتفع غمامة مشبعة بالمواد المشعة تتحرك ما بين شارنوبل وكندا، وحيثما أمطرت تلوثت الأرض والماء والعشب، فإذا تناول حيوان منه شيئًا وصل إلى لحمه وحليبه.

الإنسان اليوم (يعبث بالكون) يلوث البيئة بكل مكوناتها من الهواء والماء، في جرأة لا مثيل لها..

يطلق الحرية الجنسية فينتشر (الإيدز) كالطاعون في كل مكان إلا من رحم الله.

هذا الإنسان صانع الحضارة، يعمل اليوم بجد ونشاط لهدمها على رؤوس أهلها.

درجة حرارة الأرض والبحار ترتفع - بفعل الإنسان - فتذوب جبال ثلجية، وتضرب اليابسة كوارث طبيعية، المتسبب فيها الإنسان الأكثر تقدمًا، والأكثر إنتاجًا لهذه الفواجع، لم يكتف بما فعل في الأرض فذهب إلى الفضاء يملؤه بالأقمار الصناعية وغيرها، ويرسل المركبات الفضائية إلى أبعد الأجرام السماوية، ويدفع من أجل ذلك بمليارات الدولارات، وفي بلده أو قريبًا منه، بشر يجوعون ويمرضون، فلا يلتفت إليهم، إنهم مجرد (قوارض) مثل الفيران والجرذان، لا يستحقون الحياة!

٢٠٪ من أغنياء العالم يستولون على ٨٠٪ من ثروات العالم وخيراته، الأغنياء يتكاثرون (كالسرطان)، والفقراء تتعاظم أعدادهم، فإلى أين المصير؟

لو تساءلنا: ماذا يحدث لو اشتعلت حرب كونية، واستعملت الأسلحة الذرية والنووية، ألا يتحول العالم إلى (فرن) يشوي هذه البلايين من الإنسان والحيوان والنبات؟

كلما وقعت كارثة (كونية) أتذكر قوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ (الأنعام: ٦٥).

الإنسان يتصارع مع نفسه ونوازعه، يتصارع مع أهله وجيرانه، يتصارع مع مجتمعه، يتصارع مع الحكومة والحاكم، الدولة تصارع شعبها، تصارع الدول المجاورة، الدول الكبرى مندفعة للسيطرة على الدول القريبة والبعيدة، أما الصراع القديم الجديد، والمستمر إلى قيام الساعة فهو (الصراع بين الحق والباطل)، ولكل أهله وجنده، وله قواعده وحلفاؤه، فمن أجاد اللعبة وعرف كيف يدير العملية، وأحسن كسب الحلفاء، فإنه يربح ولو كان (طاغوتًا)، ومن جهل ذلك خسر ولو كان (صديقًا)..

هذه خلاصة هذا البحث، وكل ما ذكرت مقدمات لهذه النتيجة، وليس أكثر من ذلك، وسأكون شاكرًا ممتنًا لمن يناقش هذه النتيجة ويثبت خطأها..

وختامًا.. لقد وجدت الطرطوشي - من علماء الأندلس - يدرس حال الإنسان عندما يجابه الحياة ومتطلباتها ومتقلباتها فيقول: أنجح ما في هذا الإنسان (قلبه) وله سواد من الحكمة وأضداد من خلافها، فإذا سنح له الرجاء أذله الطمع، وإن هاج به الطمع أهلكه الحرص، وإن تملكه اليأس قتله الأسف، وإن عرض له الغضب استبد به الغيظ، وإن سعد بالرضا نسي التحفظ، وإن ناله الخوف شغله الحذر، وإن اتسع له الأمر استلبته الغرة، وإن حدثت له نعمة أخذته العزة، وإن امتحن بمصيبة فضحه الجزع، وإن أفاد مالًا أطغاه الغنى، وإن عضته فاقة شغلته، وإن جهد به الجوع قعد به الضعف، وإن أفرط في الشبع كظته البطنة، فكل تقصير به مضر، وكل إفراط له مفسد... ا.هـ[1].

هذا حال الإنسان، يستوي في ذلك مؤمن وكافر، متقدم ومتخلف، غني أو فقير، ومن مصلحته أن يعرف ذلك، كي لا يقع في مغالبة هذه السنن، ويعيش في نكد ومكابدة، يسقط في حفرة، فإذا خرج سقط في بئر، وكي لا يداوي الجروح بالقروح، ولا الإيذ بحبة (بندول) والله الموفق والمعين.

(١) سراج الملوك، تحقيق د. جعفر البياتي ص (٥٥٩)، الطبعة الأولى ١٩٩٠م.